

أضواء البيان

@ 45 @ .

وأما كون يوم القيامة عسيراً على الكافرين ، فقد قدمنا الآيات الدالة عليه قريباً في الكلام على قوله تعالى : { أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِّمُّسْتَقَرًّا } . قوله تعالى : { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي * لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } . من المشهور عند علماء التفسير أن الظالم الذي نزلت فيه هذه الآية ، هو عقبة بن أبي معيط ، وأن فلاناً الذي أضله عن الذكر أمية بن خلف ، أو أخوه أبي بن خلف ، وذكر بعضهم أن في قراءة بعض الصحابة . ليتني لم أتخذ ألباً خليلاً ، وهو على تقدير ثبوته من قبيل التفسير ، لا القراءة ، وعلى كل حال فالعبرة بعموم الألفاظ ، لا بخصوص الأسباب ، فكل ظالم أطاع خليله في الكفر ، حتى مات على ذلك يجري له مثل ما جرى لابن أبي معيط . .

وما ذكره جلا وعلا في هذه الآيات الكريمة جاء موضحاً في غيرها . فقوله : { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ } كناية عن شدة الندم والحسرة ، لأن النادم ندماً شديداً ، يعض على يديه ، وندم الكافر يوم القيامة وحسرتة الذي دلت عليه هذه الآية ، جاء موضحاً في آيات آخر ، كقوله تعالى في سورة يونس : { وَأَسْرَرُواْ الذِّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْقِسْطِ } الآية . وقوله تعالى في سورة سبأ : { وَأَسْرَرُواْ الذِّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْاْ الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا لَئْلَ الْغَلَّالِ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُواْ } الآية . وقوله تعالى : { قَالُواْ يَا بَارِئَ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا } . والحسرة أشد الندامة وقوله تعالى : { كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ الدَّارِ } إلى غير ذلك من الآيات ، وما ذكره هنا من أن الكافر يتمنى أن يكون آمن بالرسول في دار الدنيا ، واتخذ معه سبيلاً : أي طريقاً إلى الجنة في قوله هنا : { يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً } جاء موضحاً في آيات آخر كقوله تعالى : { وَيَوْمَ تَقْلَبُ وَجُوهُهُمْ فِي الدَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا يَا لَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ } وقوله تعالى : { يَقُولُ يَا لَيْتَنِي * لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَايَاتِي } وقوله تعالى : { رَبُّ بِمَا يَودُّ }

الَّذِينَ كَفَرُوا ° لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ { إلى غير ذلك من الآيات .